ظلم الإنسان لنفسه

ظُلْمُ الإنسانِ

لنفسه

ظُلْمُ الإنسانِ لنفسه، من أين يأتي ؟ وكيف يكون ؟

وكيف ينجو الإنسانُ من ظُلمه لنفسه ؟

وفي كثير من آيات القرآن الكريم نرى إسنادَ ظُلم الإنسان لنفسه، فمن أين يأتي هذا الظلم ؟ وكيف يكون ؟

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.[1]

كثيراً ما يُصْرع الإنسانُ بهَواه، ويؤخَذُ بتدبيره.

ومن عند نفسه يكون خيرُه وشره، وتكون هزيمتهُ ويكون نصْرُه.

وما تُكنُّه الصدور لا يعلمه إلاَّ اللطيف الخبير.

﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾.[2]

وما يقعُ في النفس من تَغَيُّر أو تغيير ينبني عليه ما يصيب الناسَ من نِعْمَةٍ أو نقمة.

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا

(1) يونس: ٤٤.

(2) الملك: ١٣، ١٤.

بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾.[1]

ولله في خَلقه سُنَنٌ لا تتبدل ولا تتحول.

مَضَت في السابقين، وتمضي في اللاحقين.

﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلاً ﴿٤٣﴾ ﴾.[2]

ومن هنا وَجِبَ على الإنسان أن يعرفَ سُنَنَ ربِّه.

وأن يحاسب نفسَه، وأن يعلم أنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليُصيبه.

وأن يؤمنَ بذلك إيمانَ المستبصر المستنير، الذي يُوقِنُ أنَّ القَدَرَ لا يظلم الناس، ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

وأنَّ الذين يُعَلِّقُونَ كُفرَهم وجُحودَهم وظُلمَهم على الأقدار، كاذبون، يقولون ما لا يعلمون.

﴿ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.[3]

إنَّ الإيمان بالقَدَرِ ـ خيرِه وَشَرِّه ـ أَصلٌ من أصول الإيمان، لا يكون المؤمن مؤمناً إلاَّ به.

---

(1) الأنفال: ٥٣.

(2) فاطر: ٤٣.

(3) الزخرف: ٢٠، ٢١.

ونِعْمَ الإيمان بالقَدَرِ وهو يحفظ الإنسان من أسى مُقْعِدٍ أو بَطَرٍ مُهْلِك.

﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾.[1]

وهؤلاء الذين يحتجُّون بالقَدَرِ يحتجُّون به عندما يُسيئون، وعندما يحسنون ـ إن هم أحسنوا ـ ينسبون الإحسان إلى أنفسهم.

هؤلاء قد اتَّخذوا القَدَرَ ـ كما يُقال ـ شماعةً يُعَلِّقون عليها هزائمهم وضعفهم وتخلُّفهم وذُلّهم وهوانهم وسُوءَ حالهم.

ومثل هؤلاء قد اتَّخذوا القرآن مهجوراً.

ولو اعتصموا به لعلموا أنَّ القرآن الكريم لم يدع الناس يتحيَّرون في سببِ ما يأتيهم من هزيمةٍ، أو يحيط بهم من خُذلان.

لم يدعهم يقولون متعجِّبين: « أَنَّى هذا » أي: من أين لنا هذا الخُذلان ونحن مسلمون ورسول الله فينا.

بل أمر رسول ﷺ أن يقول لهم: ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾[2]

يقول ذلك لِمَنْ ؟

للصَّفوة الكرام من أصحاب الرسول ﷺ، وهُم مَن هُم في طُهرهم وصِدقهم وحُسن بلائهم، واستجابتهم لله وللرسول.

ولم يقل لهم في هذا المقام: « هذا ما قدَّره الله لكم » لأنَّ خطأً منهم قد وَقَعَ، فلابُدَّ أن يتحمَّلوا نتيجته، ولا يعتذروا بالقدر وهم يعلمون

---

(1) الحديد: ٢٣.

(2) آل عمران: ١٦٥.

أنَّ الله قادرٌ على نُصرتهم.

﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ (1)

فحين قالوا متعجبين: ﴿ أَنَّىٰ هَٰذَا ﴾ ؟

أجابهم بما يعلمون به من أنّ ما عند الله لا يُطلب إلاّ بطاعته.

فإنَّ ما وقع بكم من عند أنفسكم، أي أنَّ خُذلانكم أتاكم من معصيتكم رسولكم، ومَن عصى الرسول فقد عَصَى الله.

تركتم ما أمركم به فخُذلتم، وجازاكم الله بما فعلتم.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾

هذا ما قاله الله للصفوة الكرام البَررة في آيةٍ تُتلى على الناس ليعلموا أنَّ ذنوبهم أخوف عليهم من عدوِّهم.

وأنَّهم لن يستطيعوا أن ينصروا الله في معركةٍ حتى ينصروه في أنفسهم، بتغليب أمره على هواهم.

وما لم ينتصروا بفضلهم، لم يغلبوا بقوَّتهم.

وسُنَنَ الله لا تُجامِلُ أحداً ولا تُحابي.

﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ (2) أيّاً فاعله، ولو كان ابنَ نبيٍّ ورسول.

وقد رأينا الصحابة الكرام في مثل هذا الموقف لا يعتذرون بالقَدَر.

وإنما رأيناهم بعد ذلك يتَّهمون أنفسهم، ويحذرون المخالفة والمعصية

---

(1) آل عمران: ١٢٦.

(2) النساء: ١٢٣.

في جميع أعمالهم، ويعرفون متى يقولون: « قدَّرَ الله، وما شاء فعل ».

ولا يخلطون بين ما قدَّره الله نتيجةَ أعمالهم، وبين ما قدَّره فيما لا دَخْلَ لهم فيه.

فأفادوا من إيمانهم بالقَدَرِ ـ في جميع أعمالهم ـ: قوةً وعِزَّةً وكرامةً، ورضيً عن الله في جميع الأحوال، واتهاماً لأنفسهم إذا أبطأ النصر أو غاب عنهم.

وكان عمرُ بن الخطاب ـ وهو يعلم أنَّ معاصي الإنسان هي التي تدمره، وأنَّ ذنوبه هي التي تأخذه ـ كان يقول ـ إكراماً لنفسه ـ:

« رحم الله امرءاً أهدَى إليَّ عُيوبي ».

وذلك من فِقه القرآن، الذي ذكَّرهم بما وقع بالأُمم من قبلهم، وحذَّرهم أن يكونوا مثلهم.

فإنَّ مَا حَاقَ بهم كان مِن ظلمهم لأنفسهم.

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾.[1]

والأرضُ تُنبئ عمَّا وقع فيها ومَا حَلَّ بمَن شيَّدوا بُنيانهم، وفقدوا إيمانهم، فظلموا أنفسهم وهُم يحسبون أنهم يُحسنون صُنعاً.

(1) العنكبوت: ٤٠.

﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾ [1]

فإصلاح النفس وسلامتها ـ مماً يُنقصها أو يسيء إليها ـ هو الأصلُ فيما يُرْجَى لها من حُسن عاقبة ومصير.

فإنَّ مِن ظُلم الإنسان لنفسه أن يُشْغَلَ بعُيوبِ الناس عن عَيبه.

ومن الظلم لها أن يُرضيها بتحقيق الرغائب، ويُرديها بسُوء العواقب.

والنفس راغبة إذا رغّبتها.

راغبةٌ في المال والمتاع..

راغبةٌ في المديح والثناء..

راغبةٌ في دُنياها، غافلةٌ عن عاقبتها وأُخراها.

فإذا جاء مَن يمدحها ـ وهذا حالُها ـ فإنه لم يُحسن إليها، بل أساء.

ومن المدَّاحِين ـ في دُنيا الناس ـ من يجب أن يُحثَى في وجهه التراب، كما أمر رسولُ الله ﷺ.[2]

ويكفيك أن تدعو بالخير لِمَن أحْسَنَ إليك، وأن تشكره على ما قدَّم إليك « ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ».[3]

ولكن الحذرَ ـ كل الحَذَرِ ـ من ناسٍ يعرفون ضعف النفس، وحاجتها إلى من يُعينها على مرضات ربِّها، ثم يأتون ليكونوا عوناً

---

(1) غافر: ٢١.

(2) عن المِقْدَاد ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: « أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نَحْثُوَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ » الترمذي: كتاب الزهد، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(3) الترمذي: كتاب البر والصلة ، وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

للشيطان عليها.

وهؤلاء لو رآهم عُمر - رضي الله عنه - يُهدون إليه المديحَ والثناءَ، لكافأهم على ذلك بالدِّرةِ فوق رؤوسهم.

لأنَّ العاقل لا يستخفُّ بمديحٍ أو ثناء، وهو في حاجة إلى غير ذلك.

في حاجةٍ إلى المعاونة على الإحسان، والدعوة إليه.

في حاجةٍ إلى مَن يُبصِّره بعيبه، ويُعينه على التخلُّص منه.

لهذا رأينا عمرَ - رضي الله عنه - يدعو بالرحمة لمن أهدى إليه عيبه.

واعتبر ذلك هَديَّةً تُهدَى إليه، يكافأ من أهداها بأكرمِ ما يُرجَى.

ويطلب له الدعاء برحمة الله.

إنَّ عمرَ - رضي الله عنه - في ذلك يعلِّمنا من أين يأتي ظُلم الإنسان لنفسه، وكيف يحفظها.

ظُلمُ الإنسان لنفسه يأتيه من غروره بها، وغفلته عن حقيقتها، وفخره بزينتها ومتاعها، وفتنته بما ابتُلِيَتْ به من مالٍ وأولاد، أو منصبٍ وجاه.

كذلك الذي دخل جنَّته وهو ظالمٌ لنفسه، ظلمها بسُوء ظنِّه أنَّ ما أعطاه الله في دُنياه - امتحاناً واختباراً - بَاقٍ لا يبيد.

وقال - في فخرٍ واختيال -:

﴿ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ۝٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ۝٣٦ ﴾.[1]

(1) الكهف: ٣٥، ٣٦.

هذا الغرور الأَبْلَهْ، وهذا الظن الفاسد، لم يَفِقْ صاحبُه بنُصح أو إرشاد، وإنما أفاق عندما أُحيط بثمره.

عندئذٍ وقع الندم، وجاءت الحسرةُ بعد فوات الأوان.

﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴾.[1]

﴿ يَٰلَيْتَنِى ﴾ قالها متى ؟

بعد أن دُمِّرت جنَّتُه التي اعتزَّ بها، وركن إليها، وأعطاها صفةَ الدوام والبقاء؛ ناسياً أنَّ البقاء لله وحده.

وذاك موطنُ ظُلمه لنفسه.

وهو أصلُ كلِّ ظُلمٍ يقع بها ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾[2]

ولا أمْنَ إلاَّ لِمَن بَرِئَ منه، وآمن، ولم يلبس إيمانه بشيءٍ منه.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.[3]

هكذا على الإطلاق مهتدون في ذاتهم..

مهتدون إلى أسباب الأمن وحقيقته.

---

(1) الكهف: ٤٢.

(2) لقمان: ١٣.

(3) الأنعام: ٨٢.

مهتدون إلى كل ما يُصلح شأنهم، ويُبعد الشرَّ عنهم.

ذلك أنهم آمنوا بالله، ولم يلبسوا إيمانهم بشركٍ ظاهر أو خفيٍّ.

فإنَّ الشركَ مدمرٌ لأهله.

ومَن ظَنَّ أنَّ الشرك ينحصر في صنمٍ يُعْبَدُ وكفى، قد يقعُ في الشرك وهو لا يدري أنَّ الشرك قد يُرَى في كل عبوديته لغير الله.

وفي الناس من تراه عبداً للدِّرهم والدينار. عبداً للمنصب والجَاه.

يُعطي لمن يُعْبَد صفاتٍ لا تُعطَى إلاَّ لله، من: الاعتزاز به، والركون إليه، والإخلاص له.

كذلك الذي دخل جنَّته وهو ظالمٌ لنفسه.

وكَمَن وصفهم الرسولُ ﷺ، ودعا عليهم حين قال:

« تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ[1] إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلاَ انْتَقَش[2] »[3]

أي: هلك طالبها، الحريص على جمعها، القائم على حفظها. فكان لذلك عبدُها.

وكَم من أهواءٍ للناس تُتَّخذ آلهةً من دون الله !

وفي ذلك من ظُلمِ النفس ما فيه، ممَّا لا يمكن حَصْر نتائجه وويلاته في حياة الناس وروابطهم.

---

(1) نوع من الثياب.

(2) أي إذا أصابته الشوكةُ لم يجد مَن يخرجها بالملقاط.

(3) البخاري: كتاب الجهاد.

والظلم الذي يأتي للإنسان من هوى نفسه، هو الظلم الذي تتعدد آثاره، وتفحش نتائجه.

فمَن تسلّط عليه هواه لا يُبالي بما يقع فيه من ظُلم الناس وإساءتهم.

لأنَّ الهوى مُضِلٌّ مُفسِد، يدعو الإنسانَ أن يحقق مآربه من أيِّ طريقٍ كان، دونَ نظرٍ لحلال أو حرام. وعندئذٍ يكون الظلمُ ملازماً لنفسه حين يتخذ إلهه هواه.

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ ﴾.(1)

وعندما ينسى الإنسان الأمانة التي حملها، أو يجهل حقيقتها، لا يكون ظالماً لنفسه فحسب، بل يكون ظلوماً جهولاً.

وقد مرَّ عليك ـ من قبل ـ حقيقةَ الأمانة ودلالتها.

وأنَّ ما ضاع من أَمْنِ الناس إنَّما ضاع بضياعها.

ولا ينجو الإنسانُ من هلع إلاَّ بأداء الأمانة، والاتصاف بصفات أهلها

ولا ينجو من ظلم نفسه إلاَّ بالتخلص من العبودية لغير ربِّه.

وعندئذٍ يكون هواه تبعاً لطاعة ربِّه واتِّباع نبيِّه.

وذلك يستوجب حمل النفس على الجادة، بأن لا يدعها تلهث وراء الرغائب، وتنسى النتائج والعواقب.

يستوجبُ أن يحملها ـ حملاً ـ على الصدق في كل شيء، دون خداع

(1) القصص: ٥٠.

لها، بحيث توقن أنَّ ظلمها لغيرها ظلمٌ لها، تحمله يوم القيامة وزراً.

عندئذٍ تفعل الخير بفطرة لا تكلُّف فيها.

وتكُف عن الشر، وهي تعرف عاقبته ومغبَّته.

فإنَّ كل ما تفعله من شرٍّ ظلمٌ لها، و« الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »[1]

واستحضار العواقب - في كل شأن - يُعين على تحسين البدايات في كل شيء.

ولا ينجو الإنسان من سُوء العواقب إلاَّ حين يُبصر المقدمات بنُورٍ من ربِّه؛ حتى يسلم من مواتِ النفس، ويخرج من الظلمات.

﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾[2]

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾.[3]

لا يستوي هذا وذاك، كما لا يستوي مُحسنٌ ومُسيء، ومفسد ومُصلح، وظالم لنفسه ومُكرمٌ لها، بإبعادها عمَّا يُهينها من الدنايا، وقول الزور، وأن ينأى بها عن سفاسف الأمور؛ فإنَّ الله - تعالى - يُحبُّ معاليَ الأمور، ويكرهُ سفسافها »

(1) البخاري: كتاب المظالم.

(2) النور: ٤٠.

(3) الأنعام: ١٢٢.

وما يُحبه الله ـ من قولٍ أو عمل ـ يرفعه إليه.

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾.[1]

وإذا كان لكل شيء عاقبته، ولكل عمل جزاؤه.

فإنَّ من ظَلَم غيره فإنه سيرى في العاقبة أنَّه قد ظلم نفسه بظلم غيره. يوم تؤدَّى الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، ويرى الناس أنَّ « مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ، طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ »[2] كما جاء في الحديث المتفق عليه، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

فلا يغترنَّ أحدٌ بإملاءٍ لظالم؛ فإنَّ « اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ »[3]

قال ﷺ: « مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ[٤] الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لا يَكُونَ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ، فَحُمِلَ عَلَيْهِ »[٥]

ذلك هو السبيل للتخلص من نتائج الظلم هنا قبل الوصول به هناك.

لابُدَّ من التحلل من ظُلم الناس بعفوٍ أو أداء حق.

---

(1) فاطر: ١٠.

(2) البخاري: كتاب المظالم.

(3) البخاري: كتاب التفسير.

(٤) أي يطلب منه أن يسامحه ويعفو عنه.

(٥) البخاري: كتاب المظالم والغصب.

وأمَّا مَن ظلم نفسه بمعصية ربِّه. فالسبيلُ لطلب العفو والمغفرة، هو الإسراع بالتوبة والعمل الصالح.

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾.(1)

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾.(2)

كثيراً ما يستهينُ الإنسانُ بحقوق الآخرين، وينسى أنَّ العواقب ستأتي باليسير والكبير ﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾(3)

قال ﷺ: « مَنْ اقْتَطَعَ (٤) حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ.

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

(1) طه: ٨٢.

(2) آل عمران: ١٣٥، ١٣٦.

(3) الأنبياء: ٤٧.

(٤) أي امتلك حقَّ أخيه المسلم ظلماً بالحلف الكاذب.

قَالَ: « وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ[١] »[٢]

وكم من ناسٍ يؤدُّون الفرائضَ هنا في الدنيا، من صلاةٍ، وصيامٍ، وزكاةٍ، ثم يُضيِّعونها بظُلم غيرهم، ويأتون يوم القيامة مُفْلِسين.

وقد نبَّه الرسول ﷺ عن ذلك؛ حتى لا يستهين أحدٌ بحقٍّ غيره.

فقد روى مسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « أَتَدْرُونَ مَن الْمُفْلِسُ ؟ »

قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ.

فَقَالَ: « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ ـ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ ـ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ »[3]

أَلاَ يكون الإنسان ظالماً لنفسه ظُلماً فوق ظلم، إنْ هو ضيَّع ما كان يُرْجَى له من خيرٍ، وبقي مُفْلِساً في موطنٍ ليس فيه كسب ولا عمل !؟

﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾.[4]

❊ ❊ ❊

(١) نوع من الشجر يُتخذ منه السواك.

(٢) مسلم: كتاب الإيمان.

(3) مسلم: كتاب البر والصلة والأدب.

(4) الروم: ٥٧.